نظرة تقييمية لشعر الأطفال عند أحمد شوقي

د.بخيتة حامد إبراهيم محمد *

يحتل شعر الأطفال مكانة متميزة عن الأجناس الأدبية الأخرى الموجهة إليهم؛ ففيه النغم الصوتي، والصور الفنية، واللفظ الرشيق، والعبارة الخلابة؛ وهو بذلك قادر على تحريك المشاعر والدوافع الكامنة في روح المتلقي، وجعله أكثر وعيًا وتفاؤلًا واندماجًا بعالمه الخارجي.

ومن ثَمَّ تحاول هذه الورقة البحثية إلقاء الضوء على شعر الأطفال عند أحمد شوقي؛ باعتباره صاحب الخطوة الكبيرة في كتابة أدب للأطفال في العالم العربي الحديث، فقد جاءت كتاباته مزيجًا بين الحكمة والفكاهة، مُقدِّمًا من خلالها المعلومات التي تُكسب الأطفال أبعادًا إيجابية وتربوية تساعد في تكوين شخصياتهم.

ومن هنا نستطيع القول بأن أحمد شوقي يأتي في طليعة الذين حاولوا تقديمَ شعرٍ خاصٍّ بالأطفال، ومن الأوائل الذين دعوا إلى الاهتمام بهذه الفئة، وجاء ليشق الطريق إلى مجال الكتابة للطفل العربي، فبعد رجوعه من فرنسا واطلاعه على الآداب الفرنسية، وتردده على المسارح هناك، ومعرفته لكثير من الفنون المختلفة؛ دعا إلى وجود أدب للأطفال فى عالَمه العربي يكون على غرار أدب الأطفال فى فرنسا، وحاول أن يكتب فنًا للأطفال المصريين يكون خاصًا بهم يستمتعون به ويكونون مثل الأطفال الأوروبيين. يقول فى مقدمة ديوانه: "وجربت خاطري فى نَظْم الحكايات على أسلوب (لافونتين) الشهير، وفى هذه المجموعة شيء من ذلك، فكنت إذا فرغت من وضع أسطورتين أو ثلاث أجتمع بأحداث المصريين، وأقرأ عليهم شيئًا منها فيفهمونه لأول وهلة، ويأنسون إليه، ويضحكون من أكثره، وأنا أستبشر لذلك وأتمنى لو وفقني الله لأجعل لأطفال المصريين مثلما جعل الشعراء للأطفال فى البلاد المتمدنة منظوماتٍ قريبةَ المُتناوَل، يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم.

* مدرس الأدب والنقد – كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي بقنا – مصر.

والخلاصة أنى كنت ولا أزال ألوي فى الشعر على كل مطلب، وأذهب من فضائه الواسع كل مذهب، وهنا لا يَسعُني إلا الثناء على صديقي خليل مطران صاحب المِنَن على الأدب، والمؤلف بين أسلوب الإفرنج فى نَظْم الشعر وبين نهج العرب، والمأمول أننا نتعاون على إيجاد شعر للأطفال والنساء، وأن يساعدنا سائر الأدباء والشعراء على إدراك هذه الأمنية".

إذن كانت أمنية شوقي أن يكون للأطفال المصريين أدب مكتوب بِلُغَتهم العربية، ويكون فى متناول عقولهم ويتعلمون منه الحكمة والأدب شأنهم فى ذلك شأن أطفال أوروبا. واستعان على تحقيق هذه الأمنية بنداءين: وجه أحدهما إلى صديقه الشاعر خليل مطران؛ ليتعاونا فى خلق هذا اللون من الأدب للأطفال. والدعوة التي وجهها إلى مطران نلمح فيها ريح الاستنجاد، وكأنه يحس فى قرارة نفسه أن صديقه الشاعر أقدَر على خلق هذا اللون الأدبي لأنه أصيل فى التجديد، وأكمل فى التأليف بين أسلوب الإفرنج فى نَظْم الشعر وبين نهج العرب. لكن الخليل لم يدخل هذا المضمار وترك شوقي يرود هذا الطريق وحده.

وطبيعي وشوقي شاعر أن يكون ما يؤلفه من أدب للأطفال شعرًا، لكنه لا يريده أن يكون محصورًا فى الشعر؛ بل يود أن يكون للأطفال المصريين أدب فى صورته الكاملة من شعر ونثر؛ ومن ثَمَّ، وجه نداءه الثاني إلى سائر الأدباء من شعراء وكُتَّاب ليتعاونوا فى إبداعه وإيجاده متكاملًا، وبذلك تتحقق أمنية شوقي لأطفال العرب والمصريين. وقد استحدث شوقي فى اللغة العربية نوعين من فنون أدب الأطفال المكتوب؛ وهما القصة الشعرية والأغنية. وقد كتب للأطفال من الفن القَصَصَيّ أكثر من ثلاثين قصة شعرية، ونَظَم لهم عشر مقطوعات ما بين أنشودة وأغنية. والقصص عند شوقي يمكن أن تهدينا إلى الحكم بأن الشاعر كان يدرك أن أدب الأطفال أقوى سبيل يعرف به الصغار الحياة بأبعادها المختلفة، وأنه وسيلة من وسائل التعليم والتسلية، وأسلوب يكتشف به الطفل مَوَاطِن الخطأ والصواب فى المجتمع، ويَقفُه على حقيقة ما فى الحياة من خير وشر. وهذا الفهم العميق لأدب الأطفال قد منح شوقي لونًا من المعرفة الواعية بنوع الأدب الذى يقدمه للأطفال، فأعطاهم به صورًا من مجتمعهم الذى سيعيشون فيه، ومشكلات الحياة التي سيواجهونها فيما بعد.

ديوان شوقي للأطفال:

قسَّم الأستاذ عبد التواب يوسف شعر شوقي للأطفال تقسيمًا موضوعيًا، فالقصائد التي قيلت عن الأطفال، وصل بها ما كتبه عن الأسرة، جَدّته، وأُمِّه، وبنته أمينة، وأولاده الثلاثة. ثم

خصَّص بابًا لأناشيد شوقي وأغانيه للأطفال قدم – بعدها – أربع قصائد وجَّهها شوقي للأطفال تدور أحداثها في عالم البشر. ثم قدم حكايات شوقي عن الحيوان، وفقًا للحيوان الذي تدور حوله الحكايات، فمثلًا: حكايات الحيوان في سفينة نوح (تسع قصائد)، سيدنا سليمان والطير (أربع قصائد) ثم قصائده عن الأسد، والثعلب، والكلب والديك... إلخ، بحيث يسَّر عبد التواب بذلك الطريق للدارسين الذين يريدون استخراج فلسفة شوقي من خلال قصائده حول كل حيوان، والوقوف عند براعته الفنية، ودقة تصويره لكل حيوان، ومدى فهمه وثقافته في المملكة الحيوانية.

والحكايات التي نَظَمها شوقي تعود إلى عدة مصادر؛ أهمها:

- **حكايات لافونتين**: وقد صرَّح بتأثره به في مقدمة ديوانه، ومع ذلك كان لشوقي بصماته ولمساته الخاصة.
- **القَصَص الدينيّ والإسلاميّ**: استمد منه حكايات عديدة، مثل قصة سفينة سيدنا نوح، وقصة سيدنا سليمان مع الطير، ومن تلك الحكايات، حكاية (القرد في السفينة) يقول فيها:

لم يَتَّفِقْ مما جَرَى في المركبِ ... ككذِبِ القـــردِ على نـــوحِ النبي
فإنه كان بأَقصى السَّطـــحِ ... فاشتـاقَ من خِفتِـــه للمَزْحِ
وصـــاحَ: يا لَلطَّيْر والأسمـــاكِ ... لِموْجَـــةٍ تجِـدُّ في هَـــلاكِي
فبَعـــثَ النبيُّ له النُّسُـــورا ... فوجَدَتْـه لاهيًـا مســرورا
وبينما السَّفيـــهُ يومًـــا يَلعبُ ... جادَتْ به على المياهِ المركـبُ
فسمِعـوه في الدُّجَى يَنـــوحُ ... يقـولُ: إني هالِكٌ يا نـــوحُ
سَقطْتُ من حماقتي في المـــاءِ ... وصِـرْتُ بين الأَرضِ والسمـــاءِ

- **التراث العربي**: وحكاياته في هذا المجال تدلُّ على سَعَة اطِّلاعه ومعرفته بالتراث، ومن تلك الحكايات التي صاغها شوقي حكاية (الصيَّاد والعُصْفُورة)، يقول فيها:

ألقَى غُـــلامٌ شَرَكًا يَصطـادُ ... وكُلُّ مـــن فـوق الثَّرَى صَيَّادُ
فانحـــدرتْ عُصفورةٌ مِنَ الشَّجَر ... لم يَنْهَها النَّهيُ ولا الحَزْمُ زَجَر

فهذه الحكاية عبارة عن محاورة طريفة بين الصيَّاد والحمامة، توضح أن الصياد كان يظهر بمظهر النُّسَّاك والزُّهاد؛ فانخدعت تلك العصفورة البريئة بهذا المظهر، فطلبت منه أن يتركها فرفض، فقالت في نهاية الحكاية:

وهتَفَتْ تقـول للأَغـرارِ مقالـــةَ العـارفِ بالأَســـرار:
إيَّاكَ أن تَغتـرَّ بالزُّهَّـادِ كَمْ تَحتَ ثوبِ الزُّهدِ من صَيَّادِ!

- **تجاربه/ خبراته الذاتية**: وفيها حكايات كثيرة؛ مثل: الديك الهندي والدجاج البلدي، الثعلب والديك، ويستمر في الحكايات إلى أن يصل إلى الهدف المنشود في نهايتها.

أما الأسلوب الذى يستخدمه شوقي فى الصياغة فقد كان بارعًا فيه براعة فائقة، وتتمثل براعته فى أنه أجرى الحديث فى بعض القصائد على لسان الطفل نفسه كما فى (الهِرَّة والنظافة)، إذ يقول:

هـــرَّتى جـــدُّ أليفـــهْ وهـْى لِلْبَيـتِ حَليفَـهْ
هى ما لـــم تتحـــــرّكْ دُمْيةُ البيتِ الظريفـــه

وفي نشيد الكشَّافة يقول:

نحنُ الكشَّـــافةُ في الـــوادِي جبريلُ الـرُّوحُ لنا حـــادِي
يارَبِّ، بِعيسى، والهادي وبموسى خُـذ بيَدِ الوطـــنِ
نَبتِـدرُ الخـــيرَ، ونَستبِـــقُ ما يَرضَى الخـالقُ والخُلُـقُ
بالنفـسِ وخالِقِهـــا نثِـــقُ ونَزيـــدُ وُثوقًا في المِحن
في السَّـــهلِ نَـرِفُّ رَياحِـــينا ونجوبُ الصَّـخر شياطـينا
نبْني الأَبـــــدانَ وتبنينـــا والهِمَّةُ في الجسم المَـــرِنِ

وفي (الجدة) إذ يقول:

لـي جَـــدَّةٌ تَـــرْأفُ بـــي أحْـــنَى عَلَـيَّ مِـــنْ أبـــي
وكُـلُّ شَـــــــيءٍ سَرَّني تَذْهَـبُ فيـــــهْ مَذْهَبـي
مشى أبي يومـــــــــًا إليَّ مشيـة الـمُـؤَدِّبِ
غضبـــان قد هـدَّد بالضـــــرْ بِ وإن لـم يضـــربِ
فلم أجَـــدْ لي منـــــه غَيْـ رَ جَـــدَّتي مـــن مَهْـرَبِ
فجعلتـــني خلفهـــــــا أنجـــو بهـا، وأختبِي

وأحيانًا يجري الحديث على لسان (الشيء) فجعل (المَدْرسَة) هى التى تتكلم، فيقول:

أنـا الْمَدرَسةُ اجْعَلْنـــي كأمٍّ، لا تَمــلْ عَنِّـــي
ولا تَفـْـــزَعْ كَمَأخوذٍ من البَيْتِ إلى السِّجنِ
أنا المِصْبـاحُ للفِكـــرِ أنا المِفـاحُ للذِّهْـــن
أنا البابُ إلى المجـــدِ تعـــالَ ادخلْ على اليُمْن
غدًا تَرْتَـعُ في حَـوْشِي ولا تشبَعُ مـــن صَحْنِي
وألقـــاكَ بإخـــوانٍ يُدانونَـكَ في السّـــــنِّ

ويسوق القصيدة أحيانًا فى قالب قَصَصي مُحبَّب، ويجري الحوار بين شخوص القصيدة، كما في قصيدة الوطن فأنطق (الريح) و (العصفورة) وجعل بينهما حوارًا يؤدي إلى الغاية التي يريدهـــا، وهي أن قضية الوطن لا تخضع للمساومة والأخذ والرد. ويصرح شوقي فى آخر القصيدة دائمًا بالمغزى الذي يريد أن يثبته فى ذهن الطفل، سواء أكان ذلك بصيغة الطلب كقوله عن النظافة:

لا تَمُـرَّنَّ عَلـى العَيْـــنِ ولا بِالأنْـفِ جيفه
وتَعـــــــوَّدْ أنْ تُلاقـى حَسَنَ الثَّوبِ نَظِيْفَـــه
إنَّما الثَّـوبُ عَلـــى الإنـْ سانِ عُنْوانُ الصَّحيفَه

أم كان بصيغة الاستفهام التقريري، كقوله على لسان الجَدَّة مخاطبةً ابنها والد حفيدها:

أَلَمْ تَكُـنْ تَصْنَعُ مـــا يَصْنَعُ إذْ أنْتَ صَبـي؟

أم كان بجملة تقريرية قاطعة فى نفيها:

هَبْ جَنَّةَ الخُلْـدِ اليَمَـنْ لا شَيء يَعْـدِلُ الوَطَنْ

أو قاطعة فى ثبوتها، كقوله فى الرفق بالحيوان:

بَهيمَـةٌ مِسْكِينُ يَشْكو فَـلا يُبيـنُ
لِسانُـهُ مَقْطـوعُ وَمَا لَـهُ دُمـــوع!

ويمكن حصر الأطر المتنوعة في شعر شوقي للأطفال في الجوانب التالية:

أولًا: قصائد أحمد شوقي (عن) الطفولة.

ثانيًا: أناشيد وأغاني شوقي للأطفال.

ثالثًا: الحكايات الشعرية على لسان الحيوان.

أما حكاياته عن الحيوان فهي مستمدة من لافونتين، الذي استلهمها من أيسوب ولقمان وكليلة ودمنة وحكايات الحيوان عند العرب، وكما فعل محمد عثمان جلال فعل شوقي، فكل حكاياته تنتهي – غالبًا – بمَثَل أو حكمة تلخص أو تفسر هذه الحكاية، ويكاد شوقي يجمع عددًا كبيرًا من الحيوانات والطيور في حكاياته.

ومن بين هذه الحكايات مجموعة (السفينة والحيوانات) حيث تخيل شوقي سفينة نوح، وهي تُبحر عبر الطوفان، وقد حملت الحيوانات المتنافرة المتعادية، لكن المحنة ألَّفت بينها، فنسيت العداء والتنافر حتى إذا استقرت السفينة على الأرض، عادت الحيوانات سيرتها الأولى من العداء والكراهية، وتجلَّى ذلك في قصائد: القرد في السفينة، نوح والنملة، الدُّبُّ في السفينة، الثعلب في السفينة، اللَّيْث والذئب، الثعلب والأرنب، الحمار في السفينة، الأرنب وبنت عُرْس.

وهناك قصائد أخرى ثنائية؛ مثل: الثعلب والديك، الشاة والغراب، فأر الغيط وفأر البيت، الأسد والضفدع، الأسد والحمار، البغل والجَوَاد، الجمل والثعلب،... إلخ.

وهذه معظمها حكايات أخلاقية تنتهي بحكمةٍ ما مثل قصيدة الحمار وثعالة، التي تقول:

أتى ثَعَالَةَ يومًا ... من الضَّواحي حِمارُ
وقال إن كنتَ جاري ... حقًّا ونعمَ الجار
قُلْ لي فإنِّي كئيبٌ ... مُفكرٌ.. مُحتار
في موْكِبِ الأمس لمَّا ... سرنا وسارَ الكِبار
طرَحْتُ مولاي أرضًا ... فهل بذلك عار؟
وهل أتيْتُ عظيمًا؟ ... فقال: لا يا حِمار

أو حكاية الثعلب والديك الشهيرة، والتي تبدأ بالحديث عن شخصية الثعلب، وتُظهره على غير المعهود منه – المكر والخداع – فيأتي في صورة الواعظ النَّاسِك الذي يحمد الله ويدعو إلى الهدى وإلى الزهد في الطيور، ويرسل رسوله إلى الديك ليدعوه لأذان الصبح، إلا أن الديك بفطنته وحكمته سرعان ما يكشف مكر الثعلب ودهاءَه، ويرفض رسالته؛ وبالتالي يعجز الثعلب عن تحقيق غايته ومطلبه، وتكون بذلك نهاية القصة، يقول فيها:

بَـرَزَ الثَّعلـبُ يومًـا ... فَهْـوَ كَهْـفُ التَّائِبينـا
فمَشى في الأرْض يَهْـذي ... عَيْـشَ عَيـْشُ الزَّاهِدينـا
ويَقـولُ: الحمـدُ لِلَّـه ... لصـلاةِ الصُّبـح فينـا

يـــا عبـــادَ الله توبـــوا مِـــنْ إمـــامِ النَّاسِكينـــا
وازْهَدوا فى الطَّيْرِ؛ إنَّ الـــ ـــوَ يَرْجـــو أنْ يَلينـــا وهْـــ
وَاطْلُبـوا الدِّيـكَ يُـؤَذِّنْ يـــا أضَـــلَّ المُهْتَدينَـــا
فأتـى الدِّيـكَ رَســـولٌ عَنْ جُـدودي الصَّالِحينـا
عَـرَضَ الأمْـرَ عَلَيْـهِ دَخَـلَ البَطْـــنَ اللَّعينـــا
فأجـابَ الدِّيـكُ: عُـذْرًا قَـــوْلِ قَـــوْلُ العارفينـا
بَلِّـغِ الثَّعلـــبَ عَنِّـــي أنَّ لِلثَّعْلَـــبِ دينـــا"
عَنْ ذوي التِّيجـان مِمَّـنْ في ثِيـــابِ الواعِظيـنـــا
أنَّهُمْ قالـــوا وخَيْـــرُ الـــ ـــوَيَسُـــبُّ الماكِرينـــا
"مُخطئُ مَنْ ظـنَّ يَوْمًا ـهِ، إلـهِ العالَمينـــا

وأما نهاية القصة فقد تضمَّنت الفكرة التى أراد الشاعر توصيلها للأطفال، من خلال قوله على لسان الديك: (مخطئُ مَنْ ظنَّ يومًا أن للثعلب دينا)، فيدعو الأطفال إلى أخذ الحَيْطةِ والحذر من الأشخاص المحتالين الماكرين، ويعلمهم أنه مهما حاولوا أن يخفوا من صفاتهم الذميمة فإن ذلك لا يَحُول دون كشف حقيقتهم.

أو قصيدة سليمان والطاووس، وقد طالبه الطاووس أن يمنحه صوتًا جميلًا فيكتمل جماله. لكن سليمان يعرف كَمْ هو مغرور بشكله فما بالنا لو مُنح صوتًا جميلًا أيضًا، وفي نهاية القصيدة يقول:

فقـال لـه سُـليمانُ لقـد كان الـذي كانـا
تعالـت حِكمـةُ البـاري وجَـلَّ صنيعُـهُ شَـانَا
لقـد صَغَّـرتَ يـا مغـرو رُ نُعمَـى اللـه كُفرانَـا
ومُلـك الطَّيْـر لـم تحفـل بـه، كِبـرًا وطغيانَـا
فلـو أَصبَحـتَ ذا صـوْتٍ لَـا كلَّمْـتَ إنسـانَا!

من ثَمَّ حرص شوقي على إبراز القيَم والعادات والسمات السيئة في نفوس البشر على ألسنة الحيوانات: الغرور، الكِبْر، الكراهية، الطمع، الحقد، الحسد، الغباء،... إلخ. ولكن بصورة درامية من خلال موقف أو حكاية تنتهي بحكمة أو مَثَل.

وهكذا فإن التربية الخُلقية والابتعاد عن الرذائل كانت محور الاهتمام في قصص الحيوان عند شوقي؛ لأنها تنتهي غالبًا بما يشبه الموعظة والحكمة.

ويمكن تقسيم الحكايات التي جاءت على لسان الحيوان عند شوقي إلى قسمين:

أ- في الأخلاق والقيَم، مثل: (ضيافة قطة: حكاية تمثل دور الخير في اجتثاث الشر، ودعوة للرحمة)، (القرد في السفينة: دعوة إلى التحلِّي بالصدق ونبذ الكذب)، (سليمان والطاووس: حكاية عبرت عن الغرور والكبر والطمع)، (الثعلب والديك: حكاية تنمَّ عن الرياء الديني بعدما ألبس الثعلب لباس النُّساك والزُّهاد على غير عادته).

ب- الرمز، مثل: (الأسد ووزيره الحمار: حكاية تنمُّ عن السخرية السياسية من الحاكم المستبد الذي يلقي أوامره حسبما يُمليه هواه)، (الديك الهندي والدجاج البلدي: حكاية عن الخداع والغش والاحتيال للوصول إلى الغرض المنشود)، (أمة الأرانب والفيل: حكاية في كيفية المشورة، وإعلاء صوت العقل والحكمة والخبرة)،... إلخ.

بيد أن هذه الحكايات الموجهة للأطفال كانت متسمة بما يجب أن يكون عليه الأدب المقدم لهذه المرحلة من عمر الإنسان من بساطة الإيقاع، ويُسْر اللغة ووضوح الهدف.

أما عن الظواهر الفنية والأسلوبية في الحكاية على لسان الحيوان في شعره، فتتلخص في الآتي:

- أولًا: تنوع مصادر الحكايات ما بين غربية (حكايات لافونتين)، وشرقية (قَصَص ديني وإسلامي/ تراث عربي) وتجارب وخبرات ذاتية.
- ثانيًا: تعدُّد مضمون الحكايات: وقد تبلور تعدد المضمون في حكاياته ما بين سياسي وأخلاقي وتربوي ووطني وقومي وفكاهي واجتماعي.
- ثالثًا: استعمال البحور الشعرية القصيرة والخفيفة: يتصدَّرها بحر الرَّجَز تامًا ومجزوءًا؛ لسهولة إيقاعه وسرعة نغماته.
- رابعًا: وحدة الإيقاع اللغوي والموسيقي: فقد ظهرت قدرة الشاعر على إيجاد ائتلاف في الإيقاع اللغوي والموسيقي، وهذا الائتلاف يتسم بالثبات في الإيقاع الموسيقي المنغوم وفي الإيقاع اللغوي المتماثل، فلا تنافر – إلا في أحيانٍ قليلة – بين الكلمات أو الحروف.
- خامسًا: عدم ملاءَمة أغلب الحكايات لإدراك الأطفال: فمعظم باب الحكايات لا يخاطب مرحلتَي الطفولة المبكرة والوسطى؛ لعدة عوامل (ذيوع الرمز السياسي في الحكايات، طول

الحكايات، ارتفاع المستوى اللغوي في بعض الحكايات).

- سادسًا: خبرة الشاعر بالحيوان والطير: فقد درس الشاعر أبطال حكاياته من الحيوان دراسة واعية دلت على ثقافته الواسعة وإحاطته بعالم الحيوان.
- سابعًا: استرفاد الأمثال الحكيمة، ويظهر ذلك واضحا في معظم حكاياته، مثل حكاية(القبرة وابنها) التي يعرض من خلالها الحكمة المعروفة (في التأني السلامة وفي العجلة الندامة)،يقول في ختامها:

ولـو تأَنَّى نـالَ ما تَمنَّى وعاشَ طولَ عُمرِهِ مُهَنَّا

لكلِّ شيءٍ في الحياةِ وقتُهُ وغايةُ المسْتَعْجلين فوْتُه!

كذلك مثل حكاية (الكلب والحمامة) يقول فيها:

هذا هو المعروفُ يأهلَ الفِطَن الناسُ بالناسِ، ومَن يَعِنْ يُعَنْ!

ومنه حكاية (اليمامة والصياد)، يقول في نهايتها:

فسَقَطَت من عرشِهـــا المَكينِ ووقعَت فـي قبضةِ السِّكِّـــينِ

تقول قولَ عارف مُحقِّق: مَلكْتُ نفْسِي لو مَلكْتُ مَنْطِقي!

بين أحمد شوقي وعثمان جلال:

بقي هناك حقيقة تاريخية يجب الإشارة إليها، وتحدث عنها كثير من النقاد وباحثو أدب الأطفال، وهي إغفال شوقي التجربة المصرية التي سبقته وتأثره بعثمان جلال في (العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ) باعتباره المحاولة العربية الأولى لترجمة حكايات لافونتين، فالشاعر أحمد سويلم يقرر أن شوقي كتب حكاياته ما بين عامَيْ (1892 – 1893) لكنها نُشرت فى طبعة ديوانه الأول التي صدرت عام 1898م. ومن ثَمَّ – إحقاقًا للحق – فإن محمد عثمان جلال قد سبق شوقيًا فى كتابة هذا اللون، فالثابت أن عثمان جلال قد نشر الطبعة الأولى من (العيون اليواقظ) ما بين عامَيْ 1848 و 1854؛ أي قبل مولد أحمد شوقي نفسه بنحو خمس عشرة سنة (ميلاد شوقي 16 أكتوبر عام 1870). ولا بُدَّ أن شوقيًا قد تأثر بالطبعة الأولى من (العيون اليواقظ) التى صدرت قبل ميلاده؛ إذ إن الطبعة الثانية منه صدرت بعد وفاة عثمان جلال نفسه بعشر سنوات (1908)، وبعد صدور أول طبعة من ديوان شوقي أيضًا بعشر سنوات، وهذه حقيقة تاريخية يهملها الكثيرون، حتى شوقي نفسه لم يذكر فى مقدمته لديوانه فى طبعته الأولى أنه تأثر أو حتى

قرأ عثمان جلال، وإذا سلمنا بأنه لم يقرأه فهذا أيضًا مما نعيب به على أحمد شوقي. وأحمد زلط يعجب من عدم التفات أحمد شوقي لأهم مُؤلَّفات عثمان جلال، فميدان الترجمة كان عملهما بالديوان الخديويّ قبل ترقية صاحب العيون إلى مناصب القضاء بمحكمة الاستئناف، والأدب التمثيلي الذي راده أحمد شوقي بمسرحياته الشعرية، لا بُدَّ وأن يشير إلى أن تكون هناك علاقة من نوعٍ ما جمعت بين الشاعرين، مثل قراءة شوقي لمترجمات عثمان جلال المسرحية عن المسرح الأجنبي، أو مجرد السماع بها.

وعلى كُلٍّ، فإن أحمد شوقي يتفق مع عثمان جلال في قاسم مشترك يجمعهما، وهو تأثرهما بلافونتين من حيث اقتباس أو استرفاد مادة حكاياته الخرافية، ثم تصرف كليهما في تلك المادة كُلٌّ حسب مقتضيات فنه، ومستوى شاعريته، ودرجة الاقتباس أو النقل عن لافونتين.

ومع ذلك كله فقد قدم شوقي إضافة ملموسة فى مجال أدب الأطفال، وحَسْبُه أنه فتح الباب فى هذا المجال وشجع كثيرًا من الشعراء الذين سلكوا هذا الطريق، فقدموا للأطفال بعد ذلك أعمالًا كثيرة. وإذا كان رفاعة الطهطاوي أول من فكَّر أن يقدم لأطفال العرب أدبًا مكتوبًا بالعربية، وكان عثمان جلال يقود مرحلة الترجمة فعُدَّ رائدها، فإن أحمد شوقي يُعدُّ رائد مرحلة التأليف والتأصيل الفني، ويكفيه أنه لفت أنظار الكُتَّاب والشعراء العرب إلى مثل ذلك اللون الأدبي المُستحدَث.

الخلاصة:

- على الرغم من أن أحمد شوقي كان صاحب أول صيحة عربية واعية في نهاية القرن التاسع عشر لإيجاد أدب للطفل العربي مماثل لأدب الطفل في الدول المتحضرة، فإن نتاجه الشعري للطفل لم يكن كافيًا لسد حاجة الطفل العربي.
- نلمس بعض الصعوبة اللغوية واستعمال الرمز في بعض الأحيان (نديم الباذنجان، سليمان والطاووس، خطبة الحمار... إلخ).
- يختتم شوقي – معظم – قصائده بحكمة مستوحاة من التراث العربي أو من بنات أفكاره؛ ليعطيها بُعدًا أخلاقيًا مؤثرًا في نفوس الأطفال، فضلًا عن أنها مُبتَغاهُ الأول في كل قصائده.
- يتجلى بوضوح أن معظم ما قدمه شوقي يناسب مرحلة الطفولة المتأخرة، فقد أهمل مرحلة الطفولة المبكرة.

- تبرز معرفة الشاعر ودرايته العميقة بعالم الحيوان والطير طباعًا وسلوكًا؛ فقد درس أبطال حكاياته من الحيوان دراسة واعية، فصوَّر طبائعها وتصرفاتها بدقة واستقصاء بالغَيْن.
- يتجلى في قَصَص أحمد شوقي الاتجاه التربوي الداعم للقيَم الدينية والأخلاقية الرفيعة الإيجابية الحسنة، مُوظِّفًا الشعر والحكاية في الدعوة إليها، كاشفًا عن الامتزاج بين القيمة الإسلامية والظاهرة الفنية للتأثير في المتلقين/ جمهور الأطفال.

المراجع:

- أدب الأطفال بين أحمد شوقي وعثمان جلال، أحمد زلط، دار النشر للجامعات المصرية، الطبعة الأولى 1415 هـ، 1994 م.
- أدب الأطفال فى البدء كانت الأنشودة، أنس داود، دار المعارف، القاهرة، 1993 م.
- أطفالنا فى عيون الشعراء، أحمد سويلم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية.
- إطلالة على عالم البراءة دراسات في ثقافة الطفل العربي، أحمد سويلم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، 2014 م.
- الشوقيات، أحمد شوقي، تحقيق وتبويب، وضبط وتعليق: على عبد المنعم عبد الحميد، الشركة المصرية العالمية، لونجمان، مصر، الطبعة الأولى 2000 م.
- فتنة النص بحوث ودراسات نصية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة، 2008 م.
- في أدب الأطفال، علي الحديدي، مكتبة الأنجلو المصرية، 2010 م.